مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 17، العدد 01، 15 جانفي 2021، ص ص829-849

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

مقاربة أنثروبولوجية في تحليل بنية الموروث الثقافي الديني وعلاقته بالتنمية

Anthropological approach to analyzing the structure of religious cultural heritage and its relationship to development

شوية فاطمة الزهراء [1]*

[1]جامعة ابن خلدون –تيارت––الجزائر–

fatimafadou85@gmail.com

د. ملوكي جميلة [2]

[2]المركز الجامعي –مغنية––الجزائر–

mellouki2014@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2020/07/07 تاريخ القبول: 2020/09/05

ملخص:

نحاول في هذا المقال البحث في بنية التراث الثقافي والديني وعلاقته بالتنمية استنادا الى تحليل بنيته واستكشاف العناصر التنموية فيه، ذلك أنه في تعريفنا للتراث نجده يمثل أسلوب حياة المجتمع في فترة ما من فترات حياته وفي الحقيقة يسعى الافراد من خلال ما يمارسونه من سلوكيات وافعال يومية الى تحقيق الأفضل في حياتهم حسب الإمكانيات التي تتوفر في زمان ومكان معينين، وهنا نقطة الالتقاء مع التنمية التي تهدف بشكل أساسي الى تحقيق الأفضل لأفراد المجتمع، ومن هذا المنطلق كان تفعيل التراث أو استغلاله في المجال التنموي ذو طبيعة سلسة تتفق معه ولا تتناقض اطلاقا. مع الأخذ بعين الاعتبار فعالية الدور الوظيفي للتراث سواء كان ثقافيا أو دينيا، مما يعني ان التراث بأشكاله يحمل في جوهره طابعا تنمويا، ويبقى التراث بنوعيه المادي واللامادي يمثل رصيدا حقيقيا في المجال التنموي مع ضرورة مراعاة العنصر الزمكاني في ذلك.

وعلى هذا الأساس نقدم هذه الورقة البحثية لإبراز مدى فاعلية التراث الثقافي والديني في الجانب التنموي من جهة والكشف عن طبيعة التنمية في جوهر العنصر التراثي من جهة أخرى وفي كونه قوة محركة لا يمكن تجاهلها.

الكلمات الدالة: بنية التراث، ووظيفة التراث، الموروث الثقافي، الموروث الديني، الزمان والمكان في التراث، التنمية.

Abstract:

In this article, we search in the structure of the cultural and religious heritage and its relationship with development based on the analysis of heritage and the exploration of its developmental elements.

* **المؤلف المرسل:** فاطمة الزهراء شوية، **الايميل:** fatimafadou85@gmail.com

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

Heritage is the lifestyle of a certain society in a particular era. in fact, through their daily behaviours and actions, individuals aim at achieving the best in their lives depending on the abilities available in a particular place and time, and this is where heritage meets development as it mainly aims at making the best available for the members of a society.

Due to the reason mentioned above, activating heritage and using it in development is a smooth process with no contradictions even when taking the efficiency of the functional role of heritage whether it is cultural or religious into consideration. This means that heritage in its different forms is basically a tool towards development.

As a conclusion, Heritage, material or moral is a true credit for development when taking into consideration the time and place frame.

Based on all the previously stated factors, we introduce this research paper to clear the efficiency of cultural and religious heritage in development and to discover the nature of development in the core of heritage as an undeniable power.

Keywords: structure of heritage, function of heritage, cultural heritage, Religious heritage, time and place in heritage, development.

مقدمة:

في ظل النمو المتسارع للعولمة وطغيانها كمبدأ يدعو إلى الوحدة العالمية في مقابل اذابة الفوارق المحلية للمجتمعات أصبح من الضروري الالتفات بشدة نحو المجتمعات المحلية واستنطاق هويتها من خلال ما تعكسه خصوصياتها التي تميزها وتجعلها متفردة على المجتمعات الأخرى.

ولذلك فقد كثفت الأبحاث حول التراث الثقافي فقد "دعت اليونسكو في أواخر 1951 مجموعة من العلماء والخبراء للبحث في أوضاع ثقافات مختلف الأمم، وكان الغرض الأكثر أهمية هو البحث عن مناهج تؤدي الى الملاءمة بين اصالة الثقافات التقليدية وظروف الحياة الحديثة وتأثيراتها" (مدني، الثقافة المادية ودورها في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، 2017، ص 163).

وأقيمت في سبيل ذلك المؤتمرات العالمية، كما أن الدراسات أولت عناية لهذا الموروث في جوانبه المختلفة وفي علاقاته المتشابكة مع ميادين أخرى، وقد حاولنا بدورنا معالجة التراث الثقافي الديني في أكثر جوانبه حساسية ألا وهي علاقته بالتنمية، فإذا كنا نعتبر التراث عاملا معززا وداعما للهوية المحلية وفي كونه الشيفرة التي نقرأ بها المجتمع المحلي الذي نود التعرف عليه عن قرب، فما الذي يجعل البعض ينظر اليه بعين مريبة؟ .

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

إن المقاربة الحقيقية في فهم التراث بشكل صحيح خصوصا في علاقته بالتنمية تقتضي الغوص في عمق التراث، ولا يكون ذلك إلا بتحليل بنيته واستكشافها، فتراث الشعوب ليس مجرد مخلفات تركها لنا الأجداد أو تكرار لماضيها، بل يتجاوز ذلك الى الإفصاح عن هوية تتعلق بمجتمع ما دون سواه.

ولكي نفهم العلاقة التي تقوم بين التراث الثقافي والديني لمجتمع ما والتنمية التي هي وسيلة لتحسين هذا المجتمع من خلال الدور الذي تلعبه في النهوض به نحو الأفضل فإننا سنسعى الى النظر بعين فاحصة الى هذه العلاقة، ولكننا من خلال المشكلة التي نود معالجتها لا نريد أن نطرح التساؤل المعتاد: كيف يساهم الموروث الثقافي في تنمية المجتمع المحلي؟ لأننا لسنا بصدد بحث أيهما يؤثر في الأخر.

إن تساؤلنا ببساطة يبحث في نقطة الاتفاق بينهما ويسعى لاكتشافها، وعليه ستكون صيغته بالشكل التالي:

*** ماهي طبيعة العلاقة التي تربط بين التراث الثقافي الديني والتنمية؟**

*** وأي أسس تتحكم في التراث الثقافي الديني لتجعله أكثر فاعلية في الجانب التنموي؟**

هذه التساؤلات جعلت من الموضوع يكتسب أهميته انطلاقا من ربطه بعنصرين مهمين وهما التراث الثقافي والديني من جهة والتنمية من جهة أخرى، ومدى فعالية العنصر التراثي في الجانب التنموي وقدرته على الاستمرارية والتأقلم في ظل التغير الاجتماعي الحاصل الذي يعرفه المجتمع بفعل العديد من العوامل المختلفة والتي تعمل بشكل ما على تحقيق النموذج العام الموحد في مقابل التغطية على الخصوصيات الثقافية للمجتمع المحلي واختزالها واذابتها فيما هو عام.

تتمثل الأهمية كذلك في تحديد وإبراز العناصر المتحكمة في التراث الثقافي والديني حتى تصبغه بصبغة تنموية.

ان الأهمية التي يطرحها موضوع التراث وعلاقته بالتنمية جعلتنا نتناوله وفق أهداف محددة وهي:

* البحث في ماهية هذا التراث الثقافي والديني وتحديده وتمييزه عن بعض المفاهيم المشتركة والمتداخلة.

* تسليط الضوء على البنية الحقيقية لهذا التراث وتحديد أهم العناصر المرتبطة به.

* تسليط الضوء على ثنائية العلاقة بين التراث الثقافي والديني من جهة والتنمية من جهة اخرى.

ولمعالجة موضوعنا اعتمدنا خطة بحث اشتملت على المحاور التالية:

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

- في مفهوم التراث الثقافي الديني.
- نحو بنية التراث الثقافي الديني: الزمان، المكان، والوظيفة.
- في مفهوم التنمية.
- التراث الثقافي الديني والتنمية، أية علاقة؟

أولا: في مفهوم التراث الثقافي الديني:

1 الموروث الثقافي:

حمل التراث معنى الانتقال، وهو في اللغة من الفعل وَرَّثَ: يقال ورث يرث ورثا وإرثا أي فلان انتقل له مال فلان، وهو ما يخلفه الرجل لورثته، ولفظة التراث في مادة (ورث) تحيل الى ما يرثه الإنسان من والديه وأقاربه من مال (ابن منظور، 2010، ص 4808)، حيث ظلت دلالة اللفظة كما هي المعاجم اللغوية تحمل مضمون ما تركه المتوفي لخلفه.

وقد وردت اللفظة في القرآن الكريم في مواضيع مختلفة وبصيغ مختلفة، قال تعالى:﴿ *وتأكلون التراث أكلا لما*﴾(الفجر،19)، وقوله أيضا:﴿ *وورث سليمان داوود* ﴾(النمل، 16)، وكذلك قوله:﴿ *ولله ميراث السماوات والأرض*﴾(الحديد،10).

ولم تستخدم للتعبير عن المدلول الحديث إلا في النصف الأول من القرن الماضي حيث أصبحت تعبر عن المضمون الفكري والثقافي والديني والأدبي والفني، اذ توسع مفهوم التراث ليحمل دلالة مختلفة في الخطاب الفكري المعاصر كما أشار الى ذلك عابد الجابري تختلف تماما عما تحمله في الخطاب العربي القديم الذي كان يحيل في معناه إلى المال والحسب حيث أشار الى ذلك بقوله "لا كلمة تراث ولا كلمة ميراث ولا أيا من المشتقات من مادة و.ر.ث قد استعمل قديما في معنى الموروث الثقافي والفكري وهو المعنى الذي يعطى لكلمة تراث في خطابنا المعاصر" (الجابري، 1991، ص 22).

وبذلك يكون التراث بالمفهوم المتداول كل ما يصلنا مكتوبا أو محسوسا سواء في العلوم أو الفنون، من الإنتاج الإنساني، وبإضفاء مفهوم الاستمرارية والنقل والاحياء نصبح بإزاء موروث تتناقل عناصره في المجتمع الواحد ومن جيل الى آخر تكون موروثة اجتماعيا وتتضمن الامتثال لكل ما يعتقد انه موجود باستمرار للمعتقدات وأنماط السلوك والأنشطة.

من هذا المنطلق نقول إن "التراث الثقافي أو التراث الحي هو تلك الممارسات والتعابير والمعارف والمهارات والقيم المرتبطة بها "(بزي، 2013، ص 15).

وقد أتى مصطلح الموروث الثقافي حسب العديد من الدراسات في مقابل مصطلحات أخرى مثل: الثقافة الشعبية، الفولكلور، الحياة الشعبية، التراث الشعبي، ...وتم تقسيمه الى: (مدني، سياقات البيئة المجتمعية في انتاج الثقافة الشعبية وكتابة التاريخ بالسودان، 2012، ص14).

- الأدب الشعبي. - العادات والمعتقدات.
- الثقافة المادية. - المعارف الشعبية.
- فنون الأداء.

ويتفق الكثير من الباحثين أنه يتضمن جانبين هما الجانب المادي والجانب المعنوي وهما متداخلان ومرتبطان فيما بينهما ويعبران في نفس الوقت على مدى سعة وشمولية المصطلح، ليشمل كل المكتوب والمحكي وكل الآثار التي بقيت من عمران وعادات وتقاليد لها صلة وثيقة بالماضي وفي نفس الوقت ترتبط بالحاضر، وعموما يجب أن نؤمن بأنه قبل أن ننطلق في التأصيل اللغوي للكلمة وقبل أن نبالغ في وصف التراث بأنه كل ما وصل إلينا من الأجيال السابقة من منطلقات فكرية وثقافية، قبل كل ذلك يجب أن نعترف أن التراث هو أسلوب حياة، فالتراث لم يوجد عبثاً وهو مرتبط بالمجتمع الذي وجد فيه بشكل كبير، وهو "مادة غنية ومعبرة ذات دلالات رمزية ضمن المنظومة الثقافية للمجتمع" (بزي، 2013، ص 15)، ولذلك فهو أشمل من أن يختزل في مجرد أداء فلكلوري أو شكل تعبيري، " فالتراث الشعبي أغنى وأوسع وأكثر تنوعا بحيث يطال مختلف أشكال الثقافة وتنوعاتها " (بزي، 2013، ص15).

2 الموروث الديني:

عندما نتحدث عن الموروث الثقافي في شكله الديني نربط ذلك في أغلب الأحيان الى ما تشير إليه معظم تعاريف الثقافة في أن الدين جزء لا يتجزأ منها، حيث أن كلمة الموروث والدين تشيران مجتمعتين إلى مختلف الممارسات الثقافية ذات الصبغة الدينية، اذ أشار **مالينوفسكي** الى أن " الدين والسحر والشعائر تقدم لنا آليات نفسية اجتماعية لمواجهة تلك المعاناة والضغوط بتنفيس التوتر في مخارج شعائرية وروحية، وتساعد على تفسير وتبرير النظام القائم وتمثل صمام أمان للتعبير عن التوترات والتناقضات التي لم تجد سبيلها الى الحل " (سيمور وسميث، 2009، ص 122)، حيث يصبح لدى افراد المجتمع حالة من

الايمان التي تتجلى في سلوكياتهم وممارساتهم اليومية، وليس قصدنا هنا الشكل الرسمي للدين، بقدر ما نبحث في الترابط بينه وبين الثقافة المحلية التي تصبغ عليه صبغتها الشعبية لنصل الى تدين شعبي تطغى عليه الممارسة الثقافية ليصبح "محصلة لتكيف تاريخي بنائي متبادل، بين الرسالة الدينية بما تحويه من عقائد وعبادات ومعاملات وطقوس من جهة، والهياكل والأبنية الاقتصادية الاجتماعية والثقافية للمجتمع من جهة ثانية، وكانت محصلة هذا التكيف جملة من الظواهر الاجتماعية البشرية المتغيرة من مكان الى آخر ومن زمان الى آخر" (شلبي، 2008، ص 36)، مما يعني أن الموروث الديني يكون حاضرا بقوة في الحياة الاجتماعية الثقافية لدى الافراد في المجتمعات المحلية على وجه الخصوص حيث تغلب العاطفة ويطغى الإيمان الذي يعمل على" تهدئة القلق والحيرة، والارتباط بالعائلة التي تتكيف على ديانة ما، كما يلبي التصالح مع لطبيعة الغادرة، وتخطي فكرة الخوف من الموت من خلال ممارسة شعائر تتعلق بالعالم الآخر، وتخيل الحياة بعد الموت" (ريفيير، 2015، ص 39).

ثانيا: نحو بنية التراث الثقافي الديني: ثلاثية الزمن، المكان، والوظيفة.

ونقصد ببنية التراث الثقافي والديني في هذه الورقة هو الوصول إلى أبسط العناصر التي تتكامل فيما بينها لتحقق لنا عملية تكاملية نستطيع من خلالها التوصل إلى هيكلة التراث الثقافي والديني بما يستحقه من معنى ويضفي عليه مصداقية تصل بنا إلى المفهوم الحقيقي الذي يجب أن يكون عليه، وحتى نتمكن من الغوص في بنية التراث كان لزاماً علينا أن نبحث في العناصر المشتركة المكونة للتراث الثقافي الديني. ولذلك فقد ارتأينا اتباع منهج ديناميكي يحلل التراث بإرجاعه للحين في الزمان، والحيز في المكان وكذا قيمته الوظيفية، وليس مجرد استحضار ساكن فقط.

1 الزمـــــن:

أثارت مقولة الزمن العديد من الاستفهامات حولها وأشكلت على الفلاسفة والمفكرين والباحثين، فهي الوقت واللحظة والأيام، هي الدهر والأبد والأزل، هي شروق الشمس وغروبها، هي الليل والنهار ..، وقد حدده معجم أكسفورد بانه "امتداد أو فضاء وجود متواصل، بوصفه الفاصل بين حدثين أو فعلين متعاقبين، أو فترة يتواصل خلالها فعل أو ظرف أو حالة جزء متناه بمعناه اللامتناهي" (بينيت، غروسبيرغ، موريس، 2010، ص371)، وهو يختلف عند الفلاسفة عن الأدباء والفيزيائيين والرياضيين كل في مجاله، أما في الانثروبولوجيا مجال بحثنا يورده قاموس علم الانسان بأنه ما تبذله المجتمعات في مواجهة مرور

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الزمن: "ويلاحظ ان ادراك الزمن وتتابع العام لا يعكس فقط أنماط العمل والعلاقات مع البيئة، ولكنه يعكس في نفس الوقت بعض الاهتمامات الدينية والأيديولوجية، ونجد أن كافة المجتمعات تبذل قصارى الجهد لمواجهة مشكلات الحفاظ على النظام الاجتماعي وإعادة انتاجه في مواجهة عملية مرور الزمن" (سيمور و سميث، 2009، ص361)، حيث ترتبط حياة الانسان ارتباطا وثيقا بالزمن، ذلك أنه يستحيل ممارسة أي سلوك بمعزل عنه، فالأيام تتوالى والفصول تتابع في استمرارية متداخلة ليست لها نقطة محددة، من أول نقطة ضوء في الأفق إلى أخر نقطة ظلام تحمل في جوفها انطلاقا جديدا، هذا الزمن يستقطع الكثير منه ليجسد علامات قياسية وشاهدة على لحظات مميزة وحافلة في حياة الانسان تصبح بمرور الوقت وتراكمه بنية لا يمكن الاغفال عنها، بل إن تقادم عهد الزمن يعزز منها.

وقد ورد في القران الكريم الكثير من الآيات التي تتحدث عن الزمن وفي كونه من أعظم النعم التي أنعم بها الله على الانسان، فلا يستطيع ان يكون بمعزل عنه ولا أن يمارس أي سلوك خارجه، ففي الأية الكريمة يقول الله عز وجل:﴿ *والعصر. إن الانسان لفي خسر إلا الذين أمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر* ﴾ (العصر)، حيث ذكر الامام فخر الدين الرازي في تفسير الأية الكريمة قوله إن الله عز وجل أقسم بالعصر الذي يعني الزمن لما له من العظمة وما يحدث فيه للإنسان من أمور من سراء وضراء، وصحة وسقم، وغنى وفقر، وأنه يمكن استدراك الانسان لأفعاله لأخر لحظة في عمره (أبو غدة، 1989، ص 21)، وهو مايوحي بقيمة الفعل حيث اقترن الزمن في الآية الكريمة بالأفعال التي لا يمكن أن تمارس بمعزل عنه. ونشير في هذا المقام الى ان الآيات التي تتناول الزمن في أوجه عديدة كثيرة ولا مجال لذكرها جميعا، حيث أقسم الله جل شأنه به في مختلف أطواره كالليل والنهار والفجر والصبح والشفق والعصر، وهو يحيل الى الوقت والعمر والحساب، قال تعالى:﴿ *وجعلنا الليل والنهار آيتين، فمحونا أية الليل وجعلنا أية النهار مبصرة، ولتبغو فضلا من ربكم، ولتعلموا عدد السنين والحساب، وكل شيء فصناه تفصيلا* ﴾ (الاسراء، 12)، وقال أيضا:﴿ *أولم نعمركم ما يتذكر فيه من يتذكر، وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير* ﴾ (فاطر، 37)، وفي قوله جلا وعلا : ﴿ *إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا* ﴾ (النساء، 103)، تحيلنا الآية الكريمة على أهمية الوقت في حياتنا خاصة إذا ما ارتبط بتوقيت محدد يمارس السلوك بانتظام فيه، فالمعنى الذي نستشفه من الآية الكريمة أن الصلاة فرضت على المؤمنين في أوقات محددة، حيث تنسب كل صلاة إلى فترة زمنية محددة فلا نصلي الظهر في وقت العصر ولا

الفجر في وقت العشاء. ما يعني أن للصلاة حين من الزمن تؤدى فيه، على هذه الشاكلة تكون ممارسات الانسان اليومية فتعرف قيمتها في تحديدها بمعنى إرجاعها لوقتها، اذ أن الانسان يقضي حياته اليومية بما تحمله من سلوكيات وفق حس زماني يصنع فيه لحظات فارقة في حياته قد تصبح فيما بعد منطلقا. فكلمة (موقوتا) تعني وقتا محددا.

من هذا المنطلق عندما نتحدث عن الزمن من خلال علاقته بالتراث الثقافي والديني فإننا لا نقصد ذلك الامتداد أو الفضاء، ولا في كونه تيار الأحداث أو زمن الساعات والتقويم، نحن لا نتحدث عن زمن نقيس فيه الوقت ومروره وسرعته، اننا نتحدث عن زمن في لحظة معينة، لحظة يتم فيها ممارسة سلوك معين وتحديدا " زمن بوصفه الخلفية التي تقع عليها الأحداث" (بينيت، غروسبيرغ، وموريس، 2010، ص372)، وحتى لا نتوه عن مقصدنا فإننا نصطلح عليه «بالتحيين» بمعنى أننا عندما ننظر في عنصر تراثي معين فإننا نرجعه إلى حينه أي نحينه بإعادته للحظة التي مورس فيها أو حتى التي ولد فيها، حيث أن "الزمان يتخذ وجودا اجتماعيا بالكامل" (بينيت، غروسبيرغ، وموريس، 2010، ص374)، وعليه نقول بأن معالجة أي عنصر تراثي خصوصا في ربطه بمفهوم التنمية يجب تحيينه، أي زمانية العنصر الثقافي والديني.

ان ما نعالجه هو الزمن من منظور السلوك الممارس والذي تحول بمرور الوقت إلى ما يعرف بالتراث بالنظر الى مايحمله من عناصر متنقلة عبره أو بالنظر إلى استمراريته في الماضي فيصبح لدينا باسم الموروث، حيث لا يتحدد بفعل الماضي فقط بل ينضاف إليه زمن الحاضر كونه مورس في حينه ويمارس في الحين وبهذا يصبح التراث مرفقا بمفهوم التحيين سواء كان في زمن ماض أو في زمن حاضر، فمن "المألوف في الانثروبولوجيا القول بأن صور الإحساس بالزمن، شأنها شأن الإحساس بالمكان، تتحدد في ضوء الثقافة وتتميز بالنسبية الثقافية" (سيمور و سميث، 2009، ص361).

وقد كان للزمن دلالات اجتماعية ودينية، حيث انحصر الوقت بمفاهيم ذات أبعاد لها رمزيات كالطقوس والاحتفالات الدينية والشعائر والأعياد والمواسم، هذا المقياس الكيفي الاجتماعي للزمن تعمل المناسبات من خلاله على تذكيره وتوثيق روابطه بما هو مهم له من وذو شأن في دورة حياته كمواسم البذر والحصاد والصيد، والترحال، وكذلك مواعيد طقوس الوعدات التي تقام كل سنة، الى غير ذلك من الممارسات الثقافية والدينية التي تصبح ميقاتا معلوما للفرد فقد "كانت المجتمعات التقليدية تؤرخ أحداثها المهمة في

أغلب الأحيان بوضعها مقادير عشوائية تقريبية من الزمان الماضي ذلك إن الدلالة الإنسانية للزمان تعني شيء أكثر من مجرد أرقام" (كولن و جرانت، 1992، صفحة 9).

وما نود أن نشير اليه عموما فيما يتعلق بالزمن في علاقته بالتراث سواء كان في وقت مضى أو حاضر أو مستقبل، هو أنه يجب فهم التراث على وجه صحيح وإزالة عنه كل شائبة تشوبه وذلك بمعالجة التراث وفق مفهوم زمني بتحيينه أي ارجاعه الى الحين الذي وجد فيه أو يمارس خلاله ، كما يطرح وفق منظور مستقبلي حيث يجب كذلك أخذه بما يتفق مع الزمن الجديد لكي تتحقق له فاعلية أكثر ويصبح ذا قيمة وفائدة، فالإنسان محكوم بالزمن وتستند حياته عليه وتنطبع لحظاته الفارقة فيه وتتجسد ذاكرته من خلاله "فالإنسان مفطور على حاستي الذاكرة والتوقع، إذ أنه ينظم حياته داخلها ينسجها الماضي والحاضر والمستقبل" (كولن و جرانت، 1992، صفحة 5)، مما يعني أن التراث الثقافي والديني في ربطه بالتنمية يتحدد في أحد أجزائه من خلال عنصر الزمن، ذلك أن الزمن يحدد لنا قيمته سواء كان فيما مضى أو في الزمن الحاضر.

2 المكان:

مثلما للمكان أهمية بالنسبة للإنسان في كونه يمثل البيت أو المكان الذي ولد ونشأ فيه ومنحه الدفء والأمان من أي تهديد خارجي باعتباره الحيز أي احتواه لفترة مهمة في حياته، بل ساهم في تحديد ملامحها وقولبتها، فإن للمكان كذلك أهمية بالغة في التراث الثقافي والديني وهو مقولة نتمكن من خلالها من رسم العنصر التراثي بدقة حيث ننسبه الى المكان الذي وجد فيه ولا يمكن باي حال من الأحوال عزله حتى لا يفقد روحه التي تميزه.

وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في مواضع عديدة وبمعاني مختلفة ففي قوله عز وجل:﴿ *واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا* ﴾ (مريم، 16) بمعنى اتخذت موضعا أو محلا شرقيا عن أهلها، أما في قوله تعالى:﴿ *قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين* ﴾ (يوسف، 78) فقد كانت الكلمة تحيل الى معنى الاستبدال وجاءت بمعنى المنزلة أو المكانة في قوله جل شأنه:﴿ *قل من كان في الظلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى إذا ما رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا* ﴾ (مريم، 75).

إن المكان مثله مثل الزمان مقولة في غاية الأهمية لها دلالات كثيرة مختلفة تتفق مع طبيعة الأبحاث المتناولة حوله "وتستقي أصلها من الكلمة الأكثر تركيزplaza التي كانت تدل على فضاء حضري مفتوح أو ساحة تسوق" (ينيت، غروسبيرغ، وموريس، 2010، ص 650)، وهو ما يحيل الى الخصوصية التي يمتلكها المكان في كونه يشكل الحدود الداخلية التي تتشكل ضمنها الحياة الاجتماعية حيث " تمتد استراتيجيات الدفاع أو الاحتفاء بخصوصية المكان بدءا من الحدود الضابطة ومرورا بالتقاليد المحلية في المعمار وتصميم المشهد وصلا الى الفن والموسيقى الشعبية و أيقونات الإعلان والسياحة " (ينيت، غروسبيرغ، وموريس، 2010، ص652).

وقد اعتبر كذلك محور اهتمام الباحثين الانثروبولوجيين خاصة وأن للثقافة ملامحها المكانية التي تتأثر بشكل كبير بعديد من العوامل المختلفة مشكلة بنية مكانية هي الحيز الذي يحتضن العنصر التراثي " فقد أماطت الدراسات الانثروبولوجية للمكان، اللثام عن عدد من الموضوعات الاجتماعية المختلفة، منها الأسلوب الذي يعكس به استخدام المكان وتوزيعه ملامح البناء الاجتماعي،..والتصورات الفلسفية ومضامينها الايكولوجية، وأخيرا أسلوب التحكم في المكان عمدا أو عن غير عمد " (بن معمر، 2010، ص 125).

فمهما كانت طبيعة الأحداث والوقائع فإنها يستحيل ان تتشكل خارج المكان حيث ورد في معجم مصطلحات الانثروبولوجيا أن المكان يدل على " استعمالات عديدة، على أرض تتوسط بين الجسم الإنساني وترتيبات الحياة الاجتماعية " (بنيت، غروسبيرغ، وموريس، 2010، ص650).

ويجمع الباحثين في التراث على أن التراث سواء الثقافي أو الديني منه، يرتبط بالمكان وذاكرة المجال حيث يكسبه قوة الوجود والتنوع وأن انتشاله من حيز المكان يفقده روحه ويذبله اذ تتشكل لدينا نوع من الحميمية بينهما فعلى سبيل المثال للبيئة الصحراوية طابعها الخاص الذي يجعل من تراثها خاصا بها ولا يمكن اسقاطه على بيئة مغايرة، حيث يغلب طابع البداوة والترحال عليها ولها مسميات تنفرد بها كالقبيلة، الخيمة، الواحة، الوادي...، كما للبيئات الأخرى ما يميزها.

ومن هذا المنطلق الامر الذي نود أن نتفق عليه فيما يتعلق بمقولة المكان في علاقتها بالتراث الثقافي والديني هي علاقة مميزة ومنفردة تختلف عن غيرها من المفاهيم المرتبطة بالمكان في المجالات الأخرى والتي أشرنا لها سابقا، وعليه فإن تعريفنا الإجرائي للمكان سيكون بغض النظر عن أي تعريف هلامي يجعله غير ملموس

حيث سنقصد به ذلك الحيز الذي تقع عليه الاحداث الحافلة بالثقافة والفكر وهو يحتوي الأشياء ويعطينا إحساسا بالانتماء حيث يرتبط بالتجربة الإنسانية وكل الأفعال والسلوكات التي تنجر عنها وتعكس تراثها.

وعليه فقد اصطلحنا على مفهوم المكان الذي نقصده بـ (الحيز التراثي) وذلك لسببين:

أولا: حتى نميز مفهوم المكان الذي نقصده تحديدا عن مفهوم المكان في المجالات الأخرى.

ثانيا: لنربط بين التراث الثقافي والديني والمكان ونعتبر هذا الأخير كمرجع يستند عليه التراث والذي لا يمكن أن يتشكل بمعزل عنه، فمن المؤكد أن هذا التراث خلق في مكان ما وزمان ما...

اذن يشكل المجال المكاني مرجعية هامة لمعرفة أصول التراث الثقافي والديني فهو يعتبر من العناصر البنائية التي تحدد لنا بنية التراث ، و هو الخلفية التي تتجلى من خلالها الاحداث ويمارس ضمنها العنصر التراثي، وقد اتفق الانثروبولوجيين على أهمية المكان حيث ان الدراسات الانثروبولوجية تعتمد المكان كمرجع أساسي لفهم وتفسير الثقافات، اذ نجد أن العلاقة بين الايكولوجيا (البيئة) والنظم الاجتماعية والثقافية طرحت لدى الباحثين مايعرف بالمنطقة الثقافية التي تتحدد أساسا على توزع السمات الثقافية وهي "منطقة جغرافية يشترك سكانها في العديد من الخصائص المشتركة مثل اللغة والتراث الفني التقليدي، والملامح المتشابهة في مجال التنظيم الاجتماعي" (سيمور و سميث، 2009، ص502)، ففي هذا التعريف حاول المنظرين للمناطق الثقافية الاقتراب من حدود المكان وأكدوا على ان الحدود الايكولوجية تجعل المفهوم ملموسا الى حد ما، كما تبين ان هناك علاقة وطيدة متبادلة بين الثقافة والبيئة الطبيعية التي تشكل جزءا من المكان حيث تلعب هذه الأخيرة "دورا مؤثرا في تشكل الحاجات وطريقة تلبيتها، كما انها تؤدي الى صياغة النسيج المادي (الأدوات والسكن والفنون وغير ذلك)، والنسيج المعنوي (المعتقدات والقيم والفن و الآداب) وعلى هذا المنوال يؤدي تنوع البيئة الطبيعية الى تنوع ثقافة المجتمعات " (فيروز و رضائي، 2009، ص35)، مما يعني ان المكان بمختلف اشكاله يلعب دورا مهما وأساسيا في حياة المجتمع و تشكيل ثقافته و هويته الخاصة به.

وقد أشار **مالك بن نبي** الى المكان الذي تجلى في جزئية "تراب" من خلال معالجته لمشكلة التنمية التي عبر عنها بثلاثية: (انسان، تراب، وقت)، حيث شرح العلاقة التي تربط بين الانسان والتراب عندما اعتبره أحد العناصر الحضارية المهمة "ويؤكد على دور الانسان في استغلاله وتحويله لما لذلك من أثر على

الحياة الاجتماعية والاقتصادية، فالأرض هي مسرح التحضر وعليها يكون استقرار الانسان ومن مرافقها السطحية والباطنية يرتفق لاستيفاء حاجاته وتنمية أساليب حياته " (سعود، 2006، ص222)، وتنبني من خلال ذلك شبكة العلاقات الاجتماعية بين الافراد والمصالح المشتركة لجماعة ما لتتضح أكثر بحدود المكان فنصبح في هذه الحالة بإزاء مفهوم المجتمع المحلي الذي "يقتصر على معنى المجتمع المحلي مكانيا، وهو بشكل عام نطاق محدود الى حد ما " (سيمور و سميث، 2009، ص468).

وقد ترتبط بعض الأماكن بأنماط من الارتباطات الطقوسية ونوع من الشعائر كما تحقق تماهي الانسان مع ذاته مثلما يفعل ذلك المنزل من خلاله ما يحققه من وظائف فالمنزل يمثل العالم الأولي للوجود الإنساني وهو ما أشار اليه **بولناو** في كتابه "الانسان والمكان" (1963) الذي يعتبر كأول تأسيس لأنثروبولوجيا المكان حيث تجاوز المفهوم الفيزيائي والرياضي الى ربطه بالتجربة والسلوك الانسانيين (بن معمر، 2010، ص 126).

وعموما يمكن القول إنه لمن الضروري معالجة التراث الثقافي والديني في تحليله لبنيته بالنظر اليه من خلال عنصر المكان الذي يعد في غاية الأهمية حيث يتجسد التراث من خلاله، ويكون ذلك وفق مفهوم مكاني يجعل التراث الثقافي والديني محتوي في المكان إذ لا يمكن تناول أي عنصر تراثي بالدرس والبحث دونما احالته على مكانه الذي صبغ بصبغته ووجد ونمي فيه.

اذن فالحيز التراثي كما اصطلحنا عليه سابقا عامل مهم في كشف بنية التراث الثقافي والديني من خلال ربطه بالتنمية، حيث يساعد على الفهم الصحيح له خصوصا في ربطه بالعملية التنموية التي يتوجب عليها الأخذ بعين الاعتبار المكان الذي ولد فيه العنصر الثقافي والديني، فلا يمكن بأي حال من الأحوال نزع عنصر تراثي من مكانه أو نسبته الى مكان اخر لا يمت له بصلة.

3 الوظيفة:

الوظيفة مصطلح متشعب يحيل الى عدة معان وهو يختلف من ميدان لآخر، حيث الوظيفية في العلوم الاجتماعية " تفسر النظم الاجتماعية والثقافية وكذلك العلاقات والسلوك في ضوء العلاقات التي تؤديها في الأنساق الاجتماعية الثقافية " (سيمور و سميث، 2009، ص559)، وقد اعتمدت في المجال الانثروبولوجي على المفهوم الذي طرحه **مالينوفسكي** من خلال النظرية الوظيفية التي تركز على "تفسير أي عادة اجتماعية او نظام اجتماعي أو علاقة اجتماعية في ضوء الوظيفة التي تؤديها، أي على أساس

الاسهام الذي تقدمه في اشباع الحاجات سواء الحاجات الفيسيولوجية والعاطفية الأولية، أو الاجتماعية " (سيمور و سميث، 2009، ص559).

وهو ما نلاحظه في عناصر التراث الثقافي والديني حيث يقوم كل عنصر بالدور الوظيفي المنوط له أو الذي وجد من أجله ضمن ثقافة المجتمع ككل، ذلك "أن ما يمنح للأشياء معناها الرمزي ودلالتها التاريخية والإنسانية هو ما تقوم به من وظائف وما تضطلع به من أدوار وتمثيلات رمزية قابلة الاستقراء للكشف والتأويل والتحليل " (أراق، 2015، ص 20)، فالمثل والحكاية الشعبية والشعر الشعبي وما إلى ذلك من عناصر التراث سواء المادي منه أو المعنوي له دوره الذي يؤديه وقد تتعدد هذه الوظائف من وظيفة نفعية كالأكل واللباس والحماية إلى وظيفة نفسية أو جمالية، ومثلما يقوم به الدين الشعبي من خلال بعض عناصر الموروث الديني مثل الشعائر الدينية التي يرى **دوركايم** أن وظيفتها تتحدد في " التجديد وإعادة احياء الايمان، وكذلك تهذيب الشخصية، فهي تؤثر على اندماج الشخص في الجماعة، وتدعم المكانة الدينية أو الثقافية والهوية على وجه الخصوص" (ريفيير، 2015، 155)، وهوما يفسر قدرة العنصر التراثي الثقافي والديني على الاستمرارية والصمود أكثر في وجه أي تغير حاصل في المجتمع، فحسب راد كليف براون الوظيفة تكون ضمن البناء الاجتماعي الذي يساهم في تحقيقها حيث يقول: "ان البناء هو في الأساس بناء اجتماعي أو شبكة من العلاقات الاجتماعية التي تكون الاطار الدائم للمجتمع، أما الوظيفة فهي طريقة اسهام تلك النظم والعلاقات الاجتماعية في أداء المجتمع لوظائفه أداء مستقرا ومتناغما " (سيمور و سميث، 2009، ص560).

وهو ما يعني ان للمجتمع المحلي دور مهم في تحديده لعناصر التراث سواء كانت ثقافية أو دينية وجعلها تقوم بوظائفها التي لا تتحدد قيمتها إلا من خلالها، مما يحيلنا على أهمية الوعي الجمعي الذي يبرز الوظيفة الحقيقية للتراث وهي الحفاظ على هوية المجتمع المحلي وتمييزه عن غيره من المجتمعات، فالثقافة الشعبية " تحقق للجماعة جانبا من هويتها الدالة عليها، وهي في هذه الحالة ترتبط بأحد أهم الوظائف ذات الصلة بالوعي الجمعي داخل جماعة معينة، لأن هذا الوعي الجمعي هو أساس الثقافة الشعبية في نهاية المطاف " (أراق، 2015، ص 20)، مثل وظيفة الزي الشعبي ضمن مجتمع ما والتي قد تتعدى مجرد اللباس الى الحماية من البرد مثلا أو الزينة في احتفالات ما أو ممارسة من خلاله طقوس في مناسبة ما مثل اللباس الديني الذي تختلف رمزيته من منطقة الى أخرى، وما الى ذلك من الوظائف للعناصر التراثية الأخرى

كالأدوات الزراعية وطريقة وأشكال المباني كالمساجد ودور العبادة المختلفة ...وكل ما يتعلق بالحياة اليومية من ممارسات قد تتجاوز ذلك الى الوظيفة النفسية مثلما تؤكد عليه عناصر الموروث الديني، ولا نبالغ ان قلنا ان وظيفة التراث الثقافي والديني وما يحمله في طياته يتعدى ذلك الى كونه ذاكرة المكان والزمان حيث ان عناصره منوطة بدور أعظم بكثير مثل ما أشار الى ذلك محمد جودات في معرض حديثه عن الثقافة الشعبية بأن "وظيفتها أكثر من اجتماعية واقتصادية بما هي محمول ميتافيزيقي أو ديني شعبي أو اثنوجرافي، فإنها لا تتوقف بمجرد اختفاء لون فلكلوري ، أو غياب غناء جماعي، أو محو طقس أو عادة" (جودات، 2010، ص 9)، وهو ما يفسر تعدد الوظائف التي تؤديها الثقافة الشعبية حسب ما أشار اليها **ريشار مونيك** الذي حصرها في "الوظيفة اللعبية والوظيفة النفعية والوظيفة الاقتصادية والوظيفة والاجتماعية الوظيفة الأيديولوجية والوظيفة الجمالية " (أراق، 2015، ص20)، وهو ما يبين لنا القيمة التي يمتلكها التراث الثقافي والديني من خلال وظيفته التي يؤديها والتي تساهم بشكل كبير في استمراره والحفاظ عليه، فكلما كانت هذه الوظيفة ذات نفع او اشباع للفرد كلما كان تمسكه بالعنصر التراثي اكثر وكلما اختفت هذه الوظيفة مهما كان نوعها كلما اختفى معها .

وعموما كل ما يؤديه العنصر التراثي الثقافي والديني من وظيفة هو الذي يمنحه دلالته ومكانته لدى فرد المجتمع المحلي ويجعله متطلبا له أكثر من غيره من عناصر التراث، خاصة في علاقته بالتنمية التي تكون أكثر تفاعلا مع العناصر ذات الفاعلية الوظيفية والحاضرة بقوة في المجتمع المحلي مما لا يسمح بتجاهلها.

ثالثا: في مفهوم التنمية:

استطاعت التنمية أن تستقطب على اهتمام كبير للمنظرين وصناع القرار فيما يتعلق بتوظيفها واستغلالها ضمن البرامج والخطط في مختلف المجالات، ما جعلها تحمل على عاتقها كم هائل من التعاريف والمفاهيم المختلفة حيث "تعددت وتباينت أنماط التنمية ومستوياتها وأصبح من الضروري على كل باحث أن يحدد المستوى والنمط الذي يعمل في اطاره. كما نتج عن ذلك أيضا أن أصبح التراث السوسيواقتصادي في مجال التنمية زاخرا بالعديد من التعريفات التي تلقي الضوء على مفهوم التنمية " (التابعي، 1993، ص13).

ولم تلقى التنمية هذه الرعاية البالغة إلا لأهميتها ولذلك فإنها تعتبر ضرورية ومهمة للنهوض بالمجتمعات، وعليه فإنه كان لا بد محاولة إنجاحها عن طريق التخطيط والتسيير الجيد، ومن هذا المنطلق تكمن

الفروقات بين البلدان التي تسعى لاستنهاض التنمية لديها، وقياس ذلك بما تحققه التجارب التنموية من نتائج والتي تنطلق بدورها من المعطيات الأولية الخاصة بكل بلد.

وإذا كان مصطلح التنمية يبدو في ظاهره مصطلحا بسيطا ومحدد ا إلاَ أنه في الحقيقة مصطلح صعب التحديد لتداخله بمصطلحات أخرى كالنمو والازدهار، التقدم، التطور، التغير...، وكذلك لتنوعه وتداوله بكثرة. ويمتد مصطلح التنمية " ليشمل جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وغيرها من المجالات الأخرى" (عبد الحسن، 2008، ص26)، بمعنى أن "التنمية Development انبثاق حالة عقلية ونفسية واجتماعية من شأنها أن تجعل النمو Growth ممكنا "(عبد الحسن، 2008، ص 26).

ففي اللغة العربية لفظ تنمية من مادة " نمي " بمعنى زيادة في الشيء، فيقال نمى المال نمواً بمعنى زاد وكثر (ابن منظور،2010، 4551) وقد اختلف العلماء في اعطاء مفهوم محدد للتنمية بسبب اختلاف زاوية النظر حيث سيطرت لوقت طويل التنمية المرتبطة بالجانب الاقتصادي إلى درجة انها كانت تقاس بمستوى الدخل الذي يحققه الفرد وهي نظرة مكرسة نتيجة الهيمنة الغربية لشعوب العالم الثالث التي ارتبطت بها التنمية بشكل كبير باعتبارها حل للخروج من التخلف وتحقيق التقدم وذلك لأن " التنمية مسألة ارتبطت ارتباطا مباشرا منذ بداية النصف الثاني من القرن العشرين بحركة الكفاح التاريخي لشعوب العالم الثالث ونضالاتها السياسية والاجتماعية من أجل الاستقلال والتقدم" (بدران، البيلاوي، ونجيب، 2006، ص115)، ولذلك فقد كان علماء الاقتصاد هم الأوائل في تناولهم للمفهوم و البحث فيه حيث ظهرت التنمية وفقهم " كتعبير عن تحقيق مستويات التقدم الاقتصادي تحددت من خلال مجموعة من المؤشرات التي تصف النموذج الغربي" (بدران، البيلاوي، ونجيب، 2006، ص118)، الذي من شأنه أن يحسن من حال المجتمع الذي يتبناه " فإدخال جزء متقدم من شأنه أن يؤثر إيجابيا في تقدم بقية اجزائه " (بدران، البيلاوي، ونجيب، 2006، ص118).

وقد أشار طلعت السروجي في كتابه التنمية الاجتماعية إلى تداخل استخدامات المفهوم في كونه "يتضمن ثلاث صور ذهنية متلازمة وهي التنمية كظروف الحياة، وكهدف يراد بلوغه، وكقدرة على النمو والتغير والتطور" (السروجي وآخرون، 2001، ص14)، فيكون بذلك وصف لحالة المجتمع سواء كان متقدما يتطلع للأفضل أو متخلف يسعى لتحقيق التنمية ومدى قدرته على تحقيقه.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

وقد عرفها **غوران ادبروا** على أنها شكل خاص من أشكال التغير الاجتماعي وتعني ظروف معيشية محسنة، إلا أنها لا تشير إلى عملية التغيير فقط وإنما تصف مجالات في نهاية العملية على انها أيضاً الهدف (عبد الحسن، 2008، ص 27)، حيث لا تتم عملية التنمية بشكل منعزل بل تقتضي تداخل جملة من العوامل المشتركة للوصول إلى الهدف الذي تنشده، وهو ما يراه محمد الجوهري بأنها " توظيف جهود الكل من أجل صالح الكل " (التابعي، 1993، ص14).

ورغم كل ما طرح والكم الهائل من وجهات النظر التي عالجت التنمية إلا أن مفهومها كان مفهوما مرنا ولم يكن له معنى ثابت يحدده وربما كان يتضح أكثر وفق متطلبات كل مرحلة تاريخية ما "فقد كانت كل مرحلة تفرض عليه معاني محددة وعلى غيره من المفاهيم المرتبطة به مثل التخلف والثقافة والتربية " (بدران، البيلاوي، ونجيب، 2006، ص115)، ومع ذلك فإننا نجد نقاط اتفاق لأغلب التعريفات حيث " تتفق في النظر للتنمية باعتبارها عملية تغيير حضاري تستهدف الارتقاء بالمجتمع اقتصاديا وتكنلوجيا واجتماعيا وثقافيا، وتوظيف كل موارد المجتمع المادية والطبيعية والبشرية من أجل صالح الكل " (التابعي، 1993، ص13).

ما نريد أن نشير اليه عموما أن التنمية ارتبطت بمجالات مختلفة انطلاقا من التنمية الاقتصادية الى التنمية السياسية والاجتماعية والسياحية والثقافية والبشرية ومن تنمية محلية الى تنمية شاملة ومتكاملة ومستدامة، مما يعني تبني استراتيجية النظرة الشاملة التي ترى بأن " ثمة سلسلة عوامل داخلية وخارجية سياسية واقتصادية، نفسية، ثقافية...تتدخل في موضوع التنمية " (فيروز و رضائي، 2009، ص49)،

اما وجهتنا فقد كانت تركز على التنمية في أحدث مفاهيمها وهي التنمية المستدامة التي تمثل حوصلة جامعة للمفاهيم التنموية السابقة التي تم تبنيها بشكل رسمي في "تقرير اللجنة العالمية المعنية بالبيئة والتنمية المسماة بورنتلاند سنة 1987" (العايب عبد الرحمن، 2011، ص 11) ذلك انها تشكلت نتيجة لتنامي الوعي لدى المجتمعات والافراد بالقضايا الراهنة مثل البيئة والاهتمام بالإنسان وتنميته البشرية والثقافية سواء في الوقت الحاضر أو المستقبل حفاظا على حقوق الأجيال القادمة، مراعية الجوانب الأهم في مجال التنمية وهي الجانب الاقتصادي والاجتماعي والبيئي إضافة الى الجانب الثقافي حيث ان الانسان هو هدف التنمية وهو في الوقت نفسه صانعها مما يعني انها قائمة من اجله، ولذلك فقد جاء تعريف التنمية المستدامة حسب اللجنة العالمية للبيئة والتنمية على انها " التنمية التي تقتضي تلبية الحاجات

الأساسية للجميع وتوسيع الفرصة امام المجتمع لارضاء طموحاتهم الى حياة افضل ونشر القيم التي تشجع انماطا استهلاكية ضمن حدود الامكانات البيئية التي يتطلع المجتمع الى تحقيقها بشكل معقول" (العايب عبد الرحمن، 2011، ص 12)

وعموما نحن لا نريد التفصيل في التنمية لأننا لسنا بصدد تحليلها بقدر ما نبحث عن طبيعة علاقتها بالعنصر التراثي.

ولذلك فان التنمية في هذه الورقة ترى بأنها عملية تغيير هادفة تسعى الى تحقيق الأفضل للمجتمع، تشمل كل فئات المجتمع وتعمل على الإفادة من جميع القطاعات وتسخيرها من ونحو الأفراد بشكل دائم يحقق استفادة الأجيال القادمة منها، وتكون من وضع الى وضع أخر أكثر تحسينا آخذة في الحسبان الحالة الاجتماعية والثقافية للمجتمع المراد تنميته.حيث "رفع وتقوية مختلف شؤون ثقافة المجتمع باتجاه تحقيق الأهداف والمقاصد المطلوبة، والتي توفر القاعدة والظروف المناسبة لنضج البشرية "(فيروز و رضائي، 2009، ص58).

رابعا: التراث الثقافي الديني والتنمية، أية علاقة؟:

ان أهمية دراسة التراث الثقافي والديني من المنظور التنموي تجعل منه قضية هامة وجوهرية وهي أساس الحفاظ عليه وتمييزه عن الثقافات الأخرى في ظل طغيان ثقافة العولمة، فما مايحمله افراد المجتمع من عاطفة حميمية تجاه التراث تجعل وظيفته في غاية الأهمية من حيث الحفاظ على هوية المجتمع وتنميته، ولذلك فقد "تنبهت الشعوب الغنية والفقيرة الى ما يشكله التراث الشعبي من ثروة وقيمة، فحرصت على المحافظة عليه، لأنه يدعم الاقتصاد الوطني، ويشكل دخلا للمبدعين أنفسهم" (بزي، 2013، ص 15).

ان هذا يوحي أن بعض النماذج المجتمعية شديدة الصلة بالتراث مثل المجتمعات العربية حيث يصبح سلطة في نفوس الناس، مما يعني أنه مهما كانت عمليات التغيير الممارسة في المجتمع فإنها تقتضي أخذ التراث بأشكاله بعين الاعتبار.

ماهو وارد في الامر أن المجتمعات في عمومها تعرف تغيرا بفعل ظروف مختلفة تحيط بها وتؤثر عليها، سواء كان تغييرا مقصودا أم لا، وهو تغيير لابد منه حيث ينعكس ذلك بشكل مباشر على تراث هذه المجتمعات فيحصل لها أحد الأمرين:

-إما أنها تسعى لأقلمة وتفعيل هذا موروثها الثقافي والديني لمواكبة التغير والاستفادة منه مستقبلا خصوصا بحضور التنمية.

-وإما أنها تتخلى عن هذا الموروث فينمحي بذلك جزء كبير من هويتها وخصوصيتها، وهنا يتشكل لنا جسد بلا روح.

ونحن في ثنائية "الموروث الثقافي والديني – والتنمية" سعينا الى معرفة العلاقة بينهما فيما تتجلى؟

حيث ارتأينا أن نقف على حقيقة هذه العلاقة ودلالتها المنطقية باتخاذ وجهة تحليلية عن طريق رد المركب الى البسيط ونقصد بهما التراث الثقافي والديني من جهة والتنمية من جهة أخرى، إضافة الى نقطة ثالثة وهي طبيعة العلاقة التي تربطهما، ذلك ان تناول كل منهما على حدى لا يجدي نفعا إذا ما غابت العلاقة التي تعتبر الدافع الأساسي في تناولنا للموضوع، فبقدر ما نريد أن نزيح عنها الاشكال، بقدر ما نريد أن نضفي أو بالأحرى أن نستكشف طابع السلاسة وروح الاتفاق.

فعندما ننطلق في تحليل بنية التراث الثقافي والديني ننتقل تصاعديا نحو فاعلية التراث وبذلك نحقق ضبطا دقيقا للعلاقة التي تربط التراث بالتنمية فنصبح في غنى عن الجدال القائم حول الطرح الذي يقول: هل التراث الثقافي والديني يساهم ام يعيق عملية التنمية؟

ان ما أردنا نحققه من خلال ورقتنا هذه هي البحث في بنية من التراث الثقافي والديني لإيجاد نقطة الاتفاق بين الطرفين واستكشاف أهم العناصر التي تجعله ممكنا في عملية التنمية حيث إن مسعانا هو (اتفاقي) قبل أن يكون (توفيقي).

ذلك أن الاتفاق يحيل إلى التجانس والسلاسة من حيث المنطلق وبالتالي لا صحة لجدال بين عنصرين متفقين في الأصل، ولا ضرورة إلى طرح التضاد أو إيجاد مسعى توفيقي.

كما أن تناولنا لثنائية (التراث ثقافي ديني – تنمية) واستكشاف البعد التنموي في العنصر التراثي كان يفرض ويوجب تناوله في حدود ظروف وخصوصيات المجتمع، حيث هو أسلوب حياة مميز له، فعنصر التراث الثقافي أو الديني حتى نراه في شكله الحي والباعث على الحياة يجب ألا يؤخذ بمعزل عن المجتمع. فلا ننتزعه من بيئته إذ يجب أن نتناوله من منظور بنيوي.

ان ما طرحناه في هذه الورقة وأشرنا له سابقا من مفاهيم كان الهدف منه تجنب الاشكال الواقع بين تيارين أساسيين فيما يتعلق بثنائية (تراث ثقافي وديني-تنمية) حيث "يسعى الرأي الأول أو المحافظ بأي ثمن

للمحافظة على التراث حتى لو كان الثمن التضحية بنفسه وبالأخرين...أما الاتجاه الثاني أو الثوري فهو يريد أن يغير كل شيء دفعة واحدة، ويقضي عليه بضربة واحدة" (فيروز و رضائي، 2009، ص (182، 183)).

إن الاقتراح الذي قدمناه يشكل طرحا اخر في تناول هذه العلاقة فعوضا على ان نتوجه قدما نحو العلاقة الظاهرة بينهما من حيث تأثير كل منهما على الأخر، فإننا حاولنا الغوص في طبيعة العلاقة بينهما فحللنا بذلك التراث الثقافي والديني الى أبسط العناصر التي تتحكم فيه وهي العناصر الثلاثة التي أشرنا لها: الزمان، والمكان، والوظيفة والتي إذا ما توفرت فإنها تجعل من فاعليته في التنمية أكيدة بلا شك ، اذ يصبح العنصر التراثي بنوعيه في هذه الحالة أصيلا ومعبرا عن حقيقة المجتمع المحلي وهو ما يسهل مرونته نحو التنمية التي تسعى لها هذه المجتمعات حيث أن " ثقافتنا الشعبية تحتوي العناصر الثقافية والاصالة مما يجعلها أمينة على القيم الإنسانية. وهذا الجانب الثقافي فيه من المرونة ما يجعله قابلا للتطور والنمو، مع تطور ونمو الحضارة، وإعطاء هذا الموروث الثقافي والديني بعدا قوميا إنسانيا علميا في الوقت نفسه "(بزي، 2013، ص17)،

وهو ما يفسر الآلية التي يحافظ بها الموروث الثقافي والديني على نفسه وكيف أنه يمكن لأي عنصر تراثي أصيل أن يحفظ مكانته ويجعل من عملية استمراريته ممكنة في ظل كل عمليات التغير والنمو التي تحدث، مما يبطل "ما ترسخ لدى بعض المجتمعات المتخلفة وخاصة لدى فئة عريضة من مثقفيها، أن التنمية والقضاء على التخلف لن يكون إلا بتجاوز البنية الثقافية السائدة، واحلال القيم الحديثة محل القيم التقليدية"(سعود، 2006، ص 20).

أي ان أي مقولات ترى في التراث الثقافي والديني عائقا نحو تنمية وتقدم المجتمعات هي مقولات غير سليمة ومجحفة في حقه، لسببين أساسيين، أولا لانتماء العنصر التراثي الى مجتمع ينتجه ويحضنه مما يعني انه لا مجال لأخذ أحدهما بمعزل عن الآخر في العملية التنموية للترابط الشديد بينهما، وثانيا القدرة التي يمتلكها التراث على بقاءه وتمكنه من الاستمرارية في ظل تنمية وتطور المجتمع.

بهذه الطريقة المختلفة نوعا ما حاولنا أن نستنبط التنمية من صميم العنصر التراثي الثقافي والديني، وفي نفس الوقت نكتشف متى يكون بالضبط للعنصر التراثي دور حقيقي في التنمية.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

قائمة المراجع:

1. **ابن منظور**. (**2010**). لسان العرب، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة.
2. **أشواق عبد الحسن**. (**2008**). الثقافة والتنمية البشرية، ط1، مؤسسة العارف للمطبوعات، لبنان.
3. **بن معمر عبد الله**. (**2010**). المكان والزمان في الثقافة الشعبية الجزائرية مقاربة أنثروبولوجية، أطروحة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان.
4. **سعيد أراق**. (**2015**). الثقافة الشعبية النسق، والوظيفة، والخطاب، الثقافة الشعبية، عدد 28، السنة الثامنة، البحرين.
5. **شارلوت سيمور –سميث**. (**2009**). موسوعة علم الانسان، ترجمة محمد الجوهري وآخرون، ط2، المركز القومي للترجمة، القاهرة.
6. **شبل بدران، حسن البيلاوي، كمال نجيب**. (**2006**). التنمية الثقافية والتنوير، ط1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
7. **الطاهر سعود**. (**2006**). التنمية والتخلف في فكر مالك، ط1، دار الهادي للطباعة والنشر، لبنان.
8. **طلعت مصطفى السروجي وآخرون**. (**2001**). التنمية الاجتماعية المثال والواقع، مركز نشر وتوزيع الكتاب الجامعي، جامعة حلوان.
9. **طوني بينيت، غروسبيرغ لورانس، ميغان موريس**. (**2010**). معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، ترجمة سعيد الغانمي، ط1، المنظمة العربية للترجمة، لبنان.
10. **العايب عبد الرحمن**. (**2011**). التحكم في الأداء الشامل للمؤسسة الاقتصادية في الجزائر في ظل تحديات التنمية المستدامة، أطروحة دكتوراه علوم في العلوم الاقتصادية، جامعة فرحات عباس، سطيف.
11. **عبد الفتاح أبو غدة**. (**1989**). قيمة الزمن عند العلماء، ط10، مكتب المطبوعات الإسلامية، الرياض.
12. **عبد الله شلبي**. (**2008**). التدين الشعبي لفقراء الحضر، ط1، مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، القاهرة.
13. **علي بزي**. (**2013**). الثقافة الشعبية مدخلا لتقارب الشعوب، الثقافة شعبية، عدد 21، السنة السادسة، البحرين.
14. **فيروز راد، أمير رضائي**. (**2009**). تطوير الثقافة دراسة اجتماعية في مفهوم التنمية الثقافية عند علي شريعاتي، ترجمة أحمد الموسوي، ط1، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت.
15. **كلود ريفيير**. (**2015**). الانثروبولوجيا الاجتماعية للأديان، ترجمة أسامة نبيل، ط1، المركز القومي للترجمة.
16. **كمال التابعي**. (**1993**). تغريب العالم الثالث دراسة نقدية في علم اجتماع التنمية، دار المعارف، القاهرة.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

17. **كولن ولسون، جون جرانت**. (**1992**). فكرة الزمان عبر التاريخ، سلسلة عالم المعرفة، ترجمة فؤاد كامل، المجلس الوطني للفنون والثقافة والآداب، الكويت.

18. **محمد جودات**. (**2010**). الثقافة الشعبية ظلالها وامتداداتها، الثقافة الشعبية، عدد 9، السنة الثالثة، البحرين.

19. **محمد عابد الجابري**. (**1991**). التراث والحداثة، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان.

20. **يوسف حسن مدني**. (**2017**). الثقافة المادية ودورها في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، الثقافة الشعبية، عدد38، السنة العاشرة، البحرين.

21. **يوسف حسن مدني**. (**2012**). سياقات البيئة المجتمعية: إنتاج الثقافة الشعبية وكتابة التاريخ بالسودان، الثقافة الشعبية، عدد18، السنة الخامسة، البحرين.